مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا المجلد: 04 العدد: 02 سبتمبر 2021 ص ص: 538-553
ر ت م د (ISSN): 2602-618X / ر ت م د إ (E-ISSN): 2710-8031

هجرة المعمرين غير الفرنسيين إلى الجزائر خلال القرن التاسع عشر

Non-French Colonists emigration to Alegria during the 19th Century

حسنة كمال ♦

جامعة ابن خلدون - تيارت KAMEL.HASNA@univ-tiaret.dz

تاريخ الإرسال: 2021/05/02 تاريخ القبول: 2021/06/09 تاريخ النشر:2021/09/30

الملخص باللغة العربية:

يهدف هذا البحث إلى إبراز الدوافع الأساسية التي جعلت فرنسا تستعين بعدد هائل من الأوروبيين لتعمير الجزائر، وإبراز دور الهجرة الأوروبية في توطيد أركان الاستعمار الفرنسي في الجزائر خلال القرن التاسع عشر، مع الإشارة إلى الإمكانيات الكبيرة التي سخرتها الإدارة الاستعمارية في الجزائر لتهجير أكبر عدد ممكن من الأوروبيين من مختلف الجنسيات لتدعيم جيش الاحتلال، وبسط السيطرة الفعلية على الجزائر.

ساهمت الظروف السياسية والاقتصادية التي كانت تعيشها أغلب الدول الأوروبية خلال القرن التاسع عشر، في تسهيل مهمة فرنسا في بتوجيه عدد هائل من المستوطنين إلى الجزائر، حيث عرفت القارة الأوروبية عموما ثورات متتالية أثرت بشكل كبير على الأوضاع الاقتصادية لبعض الدول الأوروبية، مما جعل الكثير من السكان يفكرون في مغادرة بلدانهم للبحث عن ظروف معيشية أفضل، فاستغلت الإدارة الفرنسية تلك الظروف لتشجيع الهجرة الأوروبية نحو الجزائر، بهدف تجسيد مشروعها في جعل الجزائر فرنسية، والذي لن يتحقق إلا بالقضاء على السكان الأصليين، واستخلافهم بأوروبيين مسيحيين.

نشط تيار الهجرة تجاه الجزائر خلال القرن التاسع عشر بدرجات متفاوتة، حيث استقر الآلاف من المهاجرين في مختلف المدن الجزائرية مدعمين بذلك جيش الاحتلال في تأكيد الهيمنة ومجابهة السكان الأصليين، مع إقدام فرنسا على تقديم مساعدات كبيرة للمعمرين، ولقد مرت الهجرة الأوروبية نحو الجزائر خلال القرن التاسع عشر بمراحل مختلفة، فبعدما كانت في البداية حرة، ازداد توافد الأوروبيين من مختلف الجنسيات إلى الجزائر مما جعل الإدارة الاستعمارية تعمل جاهدة على تنظيم عملية الهجرة، لكن نظرا

♦ المؤلف المرسل

لازدياد عدد المعمرين في الجزائر مع مرور الوقت وجدت الإدارة الاستعمارية في الجزائر صعوبات كبيرة للتحكم في العدد الهائل منهم، خاصة في الغرب الجزائري.

الكلمات المفتاحية: المعمرون؛ الهجرة؛ الأوربيون؛ الجزائر؛ فرنسا.

Abstract: This article aims to show the main reasons which make France encouraging Europeans immigrants to settle in Algeria at the beginning of the colonization, and furthermore, to show the role of the European immigration in the reinforcement of the French establishment in Algeria during the 19 century, with the help of the colonial administration which worked hardly to encourage this European immigration in order to occupy Algeria.

Both economic and political conditions in Europe during the 19th century, mainly the rebellions and social revolutions in many European countries, had favored the immigration of people seeking more security and stability, and the French colonial administration had taken advantage of this situation to complete the project of sending settlers to Algeria. Many settlers from different nationalities were settled in different region and cities of Algeria in the aim of making the autochthons a minority in their own country and increasing the number of Christians to incarnate the project of "French Algeria".

So, the 19th century witnessed a large arrival of European immigrants to Algeria, and were established in many cities in Algeria, this settlement had resulted of conflicts with autochthons and with the increase of the immigrants, the colonial administration faced many difficulties to manage the big amount of them especially in western Algeria.

Keywords: settlers;Immigration;Europeans; Alegria; France.

مقدمة:

إن أول ما فكر فيه الفرنسيون بعد دخولهم إلى الجزائر واحتلالها سنة هو التوسع العسكري أولا ثم الاستيطان ثانيا، وهذا قصد إنشاء وطن جديد لهم في شمال إفريقيا، خاصة بعد صدور قرار إلحاق الجزائر بفرنسا بمقتضى مرسوم جويلية 1834، ونظرا للامتداد الشاسع للجزائر من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب، لم يكن بإمكان فرنسا تعمير الجزائر بسكانها فقط، لذلك وجهت أنظارها إلى الدول الأوروبية الأخرى لدعمها بالعنصر البشري الكافي لتحقيق ذلك.

أولت الحكومة الفرنسية اهتماما خاصا لمشروع الاستيطان، حيث أنها أدركت منذ بداية الاحتلال أن السيطرة العسكرية وحدها لن تكون كافية لتجسيد مشروعها بالسيطرة على تلك المناطق الشاسعة، ومن جهة أخرى كانت الإدارة الاستعمارية تدرك جيدا أن السكان المحليين سيشكلون عائقا كبيرا أمام تجسيد الطموح الفرنسي الكبير في جعل الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا، وعليه كان لزاما عليها أن تعمل من أجل جلب الأوروبيين المسيحيين، لمجابهة السكان المحليين، وخلق قوة موازية تكون سندا ودعما لها في توطيد أركانها بالجزائر.

والإشكالية المطروحة في هذا الصدد ما هي دوافع الهجرة الأوروبية الجارفة نحو الجزائر في القرن 19؟و كيف يمكن تبرير وجود معمرين أوروبيين في مستعمرة فرنسية؟ وكيف كانت أوضاع المعمرين في الجزائر ؟.

1- أسباب ودوافع هجرة الأوروبيين غير الفرنسيين إلى الجزائر خلال القرن التاسع عشر:

1.1-أسباب الهجرة:

يعتبر القرن التاسع عشر بالنسبة لأوروبا قرن التطور والتقدم،خاصة في الميدان الصناعي، الذي كانت تتزعمه كل من فرنسا وانجلترا، أما الدول الأوروبية الأخرى فلم تدخل بعد مرحلة التصنيع، فمثلا ألمانيا كانت في تلك الفترة لا تزال بلدً زراعيا ولم تبدأ فيها بعد حركة التصنيع.

من الأسباب الرئيسية التي شجعت الهجرة الأوروبية نحو الجزائر أنه لم يكن لدى فرنسا خلال القرن التاسع عشر وبالخصوص في 1830 العنصر البشري الكافي الذي يمكنها من احتلال كل هذه المنطقة الشاسعة لوحدها، فبعد ما كانت هي وروسيا تحتلان الصدارة في أوروبا من حيث الكثافة السكانية تعرضت فرنسا لثورات دامية شعبية كبيرة، كما اجتاحها ما يسمى بثورات الإمبراطورية، أضف إلى ذلك الحروب الكبرى والحملات الاستعمارية التي أنهكت شبابها[1].

1- عمار هلال، احتلال الجزائر من خلال أدب الرحلة الألمان في القرن 19، في **مجلة الثقافة** السنة12 العدد 72 محرم- صفر- نوفمبر -ديسمبر 1982، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، صص. 14- 19.

كما أن الفرنسيين الذين جاءوا إلى الجزائر رجع عدد كبير منهم بسرعة، بسبب المناخ والظروف المعيشية الصعبة في سنوات الثلاثينات من القرن التاسع عشر[2]، لذلك كان من الضروري بالنسبة لفرنسا أن تستعين بالأوروبيين الأجانب لتعمير الجزائر، فساهمت في ذلك سيول من الإسبان، والايطاليين والمالطيين والألمانيين وغيرهم،[3] هذا ما ينفي الادعاءات التي تقول إن فرنسا احتلت الجزائر قصد إيجاد مكان أوسع لفائض سكانها، وهو ما صرح به الجنرال جيرارد (Djerard) وزير الحربية الفرنسية بعد أشهر قليلة من إرساء الحملة وسقوط شارل العاشر، حيث قال "...إن الاحتفاظ بمدينة الجزائر يحقق لفرنسا وجود مكان واسع للفائض من سكانها ..."[4].

ومن الأسباب الرئيسية الأخرى التي أدت أيضا إلى ازدياد الهجرة الأوروبية نحو الجزائر الأزمات الاقتصادية التي عايشتها بعض دول أوروبا آنذاك، والتي أدت إلى انتشار البطالة مثل ما حدث في اسبانيا، مما شجع سكان أوروبا للهجرة نحو الجزائر وأمريكا بحثا عن مستقبل أفضل خارج وطنهم[5].

أما في الميدان السياسي فيجب ذكر ثورتي يوليو 1830، ومارس 1848، اللتين أدتا إلى الأحداث المميزة لهذه الفترة، وكانت سببا مباشرا للهجرة الأوربية نحو الجزائر ومناطق أخرى،[6] إضافة إلى وجود عوامل أخرى سهلت عملية الهجرة مثل قرب المسافة بين دول أوروبا خاصة اسبانيا وايطاليا والجزائر وسهولة الاتصال بين الساحلين، وأصبح البحر الأبيض المتوسط بذلك مجرد ممر يسهل اجتيازه حتى بالنسبة للفقراء[7].

تعددت أسباب ودوافع هجرة المعمرين غير الفرنسيين إلى الجزائر خلال القرن التاسع عشر، فمنها من ارتبط بفرنسا نفسها، ومنها ما ارتبط بعوامل أخرى تتعلق أساسا

2- (J) Déjeux et (DH) Paglaux, L'Espagne et Algérie au 20 ème siècle contacte culturels et relation littéraire, Edition L'harmattan, Paris, 1985, p.42.

3- عمار هلال، المرجع السابق، ص.14.

4- صالح عباد، المعمرون والسياسة الفرنسية في الجزائر1870-1900، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص.6.

5- (J) Déjeux et (DH) Pageaux, op.cit., p.6.

6- عمار هلال، المرجع السابق. ص13.

7- (V) Demontés , la Coline espagnole en Algérie , in **bulletin de la société de géographie** , 4eme année 1899 , 2eme trimestre , P.158.

بجملة التغييرات التي طرأت على القارة الأوروبية خلال تكلك المرحلة، خاصة على المستويين السياسي والاقتصادي، والواقع أن التحولات التي طرأت على فرنسا وأوروبا عموما قد ساهمت بشكل كبير في تسهيل مهمة فرنسا في توجيه أنظار الأوروبيين من مختلف الطبقات نحو الجزائر، وبالتالي تسهيل مهمتها في استكمال الاحتلال والسيطرة على الجزائر عسكريا، بدعم من الأوروبيين الذين استقروا في عدة مدن جزائرية مدعمين بذلك جيش الاحتلال .

2.1- دور فرنسا في توجيه تيار الهجرة الأوروبية نحو الجزائر:

مهما ذكرنا من الأسباب التي أدت إلى هجرة الأوربيين نحو الجزائر فإنها تبقى قليلة، بالمقارنة مع دور فرنسا نفسها في توجيه الهجرة الأوربية نحو الجزائر، وتدعيمها بكل الوسائل.

إن أول ما فكر فيه الفرنسيون الذين يريدون إنشاء وطن جديد في إفريقيا هو الاستيطان وأن المساحة التي يجب تعميرها كانت كبيرة، حيث توجد مدن وأراضي واسعة على مشارف العاصمة وضواحيها، ومما لا شك فيه أن الحكومة الفرنسية طالبت الهجرة من كل الدول قصد توجيه تيار الهجرة نحو الجزائر، بعد ما كانت وجهتها أساسا نحو أمريكا في تلك الفترة، لذلك ادعى الفرنسيون أن " لدينا في هذا البلد ...كاليفورنيا لاستغلالها لدينا ما ننشأ ونجدد يجب أن نتصرف...."[8]. لذلك لجأت فرنسا إلى استعمال شتى الطرق والوسائل لجلب الأوروبيين إلى الجزائر، خاصة في المرحلة الأولى من الاحتلال ويتجلى ذلك من خلال توجيه المهاجرين الألمان الذين كانوا في ميناء لوهافر (فرنسا) نحو الجزائر، بعدما كانوا متجهين نحو أمريكا[9].

لقد أدركت فرنسا أنه لا تواجد لها في الجزائر بدون مستوطنين، مدنيين فرنسيين أوروبيين آخرين يدعمون جيش الاحتلال، وها هو الجنرال كلوز يل (Clauzel) يؤكد في نداءه الذي وجهه إلى الأوروبيين الموجودين في مدينة الجزائر بمناسبة وصوله في 19 أوت 1835 "عليكم أن تعلموا أيضا أنّ هذه القوة العسكرية التي تحت إمرتي ما هي إلا وسيلة ثانوية، وذلك أنه لا يمكن أن نغرس العروق هنا إلا بواسطة الهجرة الأوروبية فقط

8- Paul Gaffarel, l'Algérie histoire conquête et colonisation, libraire de Firmin, Didot, paris, 1883, p.152.

9- عمار هلال، المرجع السابق، ص ص.15، 14.

..."[10]ولقد أكد ذلك بوجو(Bugeaud) بمناسبة وصوله كحاكم عام في الجزائر في فيفري 1843، حيث قال" أن الغزو دون الاستيطان سيكون عقيما" [11].

أصبحت قضية الهجرة الأوروبية إلى الجزائر مع مرور الوقت تشغل حيزا هاما من اهتمام السياسة الفرنسية، حيث كلفت الحكومة الفرنسية سفرائها في مختلف الدول الأوروبية لتشجيع وتنظيم حركة الهجرة نحو الجزائر، خاصة في الدول التي كانت مترددة بشأن هجرة مواطنيها إلى الجزائر، ولقد اتضح ذلك من خلال المراسلات الدبلوماسية المتبادلة بين وزارة الخارجية الفرنسية وسفيرها في بلجيكا، حيث عمل السفير الفرنسي في بروكسيل من أجل تشجيع الفلاحين للهجرة والعمل بالجزائر، وهو ما أكده في رسالة إلى وزير الخارجية الفرنسية في 29 فيفري 1845[12].

أما بالنسبة لعهد الإمبراطورية الثانية خلال عهد نابليون الثالث (Napoléon 3)فأتى بسياسة مخالفة لما سبق، لكنه أعطى أهمية كبيرة للمعمرين، وأكد أنه يجب أن يفرض نفسه بثلاث أمور أساسية وهي الجيش، المعمرين، الإدارة، ولقد كانت سياسته تهدف إلى إيجاد عدد من القوانين الفرنسية بمضاعفة الجيش وتشجيع المعمرين ووضع نظام موازي للأهالي، مما يسمح للأوروبيين بالتأقلم في المجتمع الجزائري [13]، وهو ما أكده في خطابه يوم 12 جانفي 1863 بقوله ".يجب أن نربح أكثر ثقة الأهالي لكن مع المحافظة على معمرينا." [14] في حين أن الجمهورية الثالثة رضخت لمطالب أوروبي الجزائر بجلب أكبر عدد من الأوروبيين لأن المعمرين يريدون دعما بشريا قويا أمام الجزائريين الأكثر عددا[15].

نشط النواب ممثلي المستوطنين بالجزائر في الفترة الممتدة 1881-1900من أجل الحصول على الأموال والأراضي مدعين أن الاستيطان لم يكلف حتى سنة 1881 سوى 16.5 مليون فرنك، وطالبوا فرنسا المزيد من الأموال واقترحت الحكومة العامة إنشاء

10- صالح عباد، المرجع السابق، ص. 76.

11- صالح عباد، المرجع السابق، ص.6.

12- Ministère des Affaires étrangère(M.A.E), Affaires Divers Politique(A.D.P), Algérie, colonisation et émigration, 1843-1850 Carton 2, f.4.

13- Suzanne De Sternes et HenriChaude, Napoléon3 et l'Algérie, in **Revue de Paris**, 68 années, septembre 1961, p138.

14- Ibid. p.142.

15- صالح عباد، المرجع السابق، ص.68.

صندوق خاص بالاستيطان[16]، هذه المجهودات الخاصة بالتعمير دعمتها بعض القوانين مثل قانون الملكية الصادر بتاريخ 26 جويلية 1873،الذي سهل للأوروبيين مهمة الحصول على الأراضي، وقانون 26جويلية 1889 الذي سمح بتجنيس أولاد المعمرين الذين ولدوا بالجزائر أليا [17].

يمكن تلخيص أهداف فرنسا من خلال هذه السياسة في الاستفادة من الجالية الأوروبية في تدعيم التواجد العسكري ضد أي حركة جزائرية مناهضة للاستعمار، كما أن الجالية الأوروبية هي مصدر تزويدهم بالموظفين، وأنها أيضا بحكم ارتباطها بالسوق الأوروبية تستطيع تغيير أهداف الفلاحة الجزائرية، ومن خلال هذه الأهداف المختصرة نستنتج ذلك الارتباط الوثيق بين هجرة الأوروبيين إلى الجزائر وأهداف فرنسا في مستعمرتها الجديدة بشمال إفريقيا[18].

2- تطور الهجرة الأوروبية نحو الجزائر خلال القرن التاسع عشر:

يتشكل المعمرون من جنسيات أوروبية مختلفة، لكن معظمهم من دول البحر الأبيض المتوسط، خاصة ايطاليا واسبانيا [19]، ويمكن تقسيم المعمرين إلى قسمين، القسم الأول يمثل المستغلين والمستثمرين (التجار والصناع) وغيرهم، أما القسم الثاني فهم من الفقراء جاءت بهم السلطات الفرنسية للاستيطان.

بالنسبة للقسم الأول من المعمرين فكانوا طبقة مسيرة داخل المجتمع الأهلي الجزائري، الذي يقدم لهم اليد العاملة المنتجة،[20]وبذلك لم يأتوا إلى الجزائر كرحالة أو

16- صالح عباد، المرجع السابق، ص92.

17- **Document Algériens, synthèse de l'activité algérienne** ; 1er janvier 1948-31 décembre 1948, imprimerie officielle, Alger, 1949, p.25.

و ينظر أيضا : محمد بليل، تشريعات الاستعمار الفرنسي في الجزائر وانعكاساتها على الجزائريين 1881-1914، دار سنجاق للنشر، بتدعيم وزارة الثقافة بمناسبة الذكرى الخمسون للاستقلال، الجزائر 2013 .

18- صالح عباد، المرجع السابق، ص.7.

19-JoëlleHureau, La mémoire des pieds noirs de 1830 à nos jours, éditionPerrin, France, 2001, p.185.

20- (Ed) Bingisser, l'œuvre de la colonisation officiel en Algérie de 1830 a nos jours, **Bultin de l'armée d'Afrique,** N°15, 2eme année Mai 1925, imprimerie, algérienne P.Guiauchain, Alger 1925,p .204.

متفرجين أو مستوطنين فقط، بل كقادة مسؤولين بطريقتهم، سواء عن طريق التجارة أو الصناعة أو حتى الزراعة [21]، أما بالنسبة للقسم الثاني من المعمرين كانوا كمجتمعات كاملة تقصد الاستيطان، ومنحت لهم أراضي [22]، ومرت عملية الهجرة على مراحل :

1.2-المرحلة الأولى: الهجرة بين 1830-1840:

تبعت الحملة الفرنسية بهجرة عدة جنسيات إلى الجزائر من فرنسيين وإسبان وإيطاليين وغيرهم، هروبا من البطالة والمأساة، ولقد شملت هذه الهجرة أصحاب الأموال قصد استغلال البلاد، وكان الاحتلال يحتاج إلى رجال وبذلك أصبحت الجزائر مستوطنة لكل الأوروبيين بحثا عن الثراء لبعضهم، ومعيشة أفضل للبعض الآخر [23].

كانت الهجرة إلى الجزائر في الفترة الممتدة بين 1830-1840 حرة، إلى درجة أنها أصبحت فوضوية في بعض الأحيان[24]،ومما يلاحظ خلال هذه الفترة هو أن عدد العسكريين في الجزائر كان يفوق عدد المدنيين الأوروبيين بالضعف تقريبا، ففي سنة 1834 بلغ عدد العسكريين حوالي 50 ألف، مقابل 25 ألف مدني أوروبي، لأن تواجد الجيش في تلك الفترة كان أمرً مهماً، بحكم أن فرنسا لم تسيطر بعد على كامل البلاد، وبذلك كان المهاجرون أقلية في السنوات الأولى من الاحتلال، إلا مدينة وهران التي عمّرت بالإسبان [25].

خلال السنوات الأولى من الاحتلال لم تساعد الظروف الهجرة الأوروبية نحو الجزائر، ومع ذلك نزل سرب من السفاكين على البلاد، واستطاعوا أن يستولوا على بعض العقارات الحضارية في الجزائر، وحاولوا الاستحواذ على الأراضي، ولما امتلأت المدينة بمثل هؤلاء وغيرهم اتجهت الأنظار إلى الضواحي خاصة منطقة المتيجة.

إن أول محاولة للاستيطان الرسمي كانت سنة 1832 حيث وصلت إلى ميناء الجزائر سفينة تحمل 400 مهاجر ألماني وسويسري كانوا متجهين إلى العالم الجديد [26]، ولقد خصصت لهم السلطات الاستعمارية مقاطعتين هامتين في ضواحي مدينة الجزائر وهما القبة

21- JoëlleHureau, op.cit , p.60.
22- (Ed) Bingisser ,op.cit, p.204.
23- Mahfoud Keddache, l'Algérie des Algériens, histoire de l'Algérie 1830-1954. Editions Rocher noir, 1998, p.96.
24- (Ch.) Robert Ageron, Histoire de l'Algérie contemporaine, éditionDahleb,Algérie, 1994, p.20.
25- JoëlleHureau, op.Cit, p.61.
26- صالح عباد، المرجع السابق، ص.8.

وإبراهيم باشا (دالي إبراهيم) [27]، حيث أقيمت المجموعة الأولى التي تتكون من 50 عائلة في دالي إبراهيم، ووزعت عليهم قطعا من الأراضي مساحتها الإجمالية 277 هكتار، أما المجموعة الثانية فكانت مكونة من 23 عائلة أقيمت في القبة، ووزعت عليها 39 هكتار من الأراضي[28]، كما كانت هناك مراكز استيطان ألمانية أخري في الدويرة وبوفاريك ، وحتى في وهران وتلمسان[29].

تدخلت الإدارة الاستعمارية بأكثر جدية في عملية الاستيطان، فأقامت أول قرية استيطانية في بوفاريك سنة 1836، ووزعت على القادمين إليها 562 قطعة أرضية، لكن رغم ذلك فان الاستيطان الريفي كان ضعيفًا، إذ تلقى ضربة قاسية بفعل امتداد مقاومة الأمير عبد القادر إليها، عكس الاستيطان الحضري، وبذلك نجد أن 90% من الأوروبيون المتواجدين في الجزائر كانوا يعيشون في المدن[30].

2.2-المرحلة الثانية: الهجرة الأوروبية نحو الجزائر في عهد بوجو:

ارتفع عدد الأوروبيين في الجزائر إلى حوالي 25 ألف في سنة 1840 واستقر أغلبهم في الجزائر العاصمة وضواحيها (14430)، أما في وهران (4837) وبلغ عددهم في عنابه (3172) و3000 مستوطن موزعين بين قسنطينة ، سكيكدة وجيجل، كما نجد أن عدد المهاجرين الرجال كان أكثر من النساء، حيث نجد 11948 رجل مقابل 4655 امرأة [31].

لقد أراد بوجو توسيع دائرة الاستيطان وتشجيع الهجرة الأوروبية نحو الجزائر، حيث صرح في غرفة النواب يوم 14 ماي 1840 قائلا "....في كل مكان توجد فيه المياه الصالحة يجب أن يقيم المعمرين دون الاستفسار عن أصحابها... "، وبذلك استمرت الهجرة الأوروبية بشكل لم يسبق له مثيل، ففي سنة 1845 وحدها وصل إلى الجزائر 46 ألف مهاجر، الشيء الذي أدى إلى توسيع دائرة الاستيطان نحو الشرق والغرب[32].وقصد ضمان نجاح هذه السياسة عملت فرنسا من اجل استمالة الفلاحين والمستثمرين في بلجيكا، بعد ما وعدتهم بأراضي شاسعة في الشرق الجزائري في المنطقة الممتدة من القالة إلى

27- عمار هلال، المرجع السابق، ص ص. 15.16.

28- صالح عباد، المرجع السابق، ص. 8.

29- عمار هلال، المرجع السابق، 16.

30- صالح عباد، المرجع السابق، صض. 9، 10..

31- MahfoudKeddache , op, cit , p.100.

32- صالح عباد، المرجع السابق، ص. 11.

عنابة، رغم أن الحكومة البلجيكية لم تكن متحمسة للفكرة في البداية بسبب الوضع الأمني الذي لم يكن مستقرا [33].

وصل إلى الجزائر في الفترة الممتدة من 1840-1846 حوالي 194887 مهاجر وعاد في نفس الفترة عدد كبير منهم إلى أوروبا لأسباب مختلفة، وعلى هذا الأساس ارتفع عدد الأوروبيين في سنة 1847 حيث بلغ عدد الإسبان حوالي 34528، في حين كان عدد المالطيين حوالي 8758، أما الألمان والسويسريين فكان عددهم حوالي 8624 والايطاليين 8175 مستوطن[34]. ولم تقتصر الهجرة الأوروبية على هذه الجنسيات فقط، بل امتد إلى كامل أوروبا بدرجات متفاوتة، حيث طلبت مجموعة من البلجيكيين[35] من السلطات الفرنسية السماح لهم بالتوجه إلى الجزائر بعدما كانوا متوجهين نحو أمريكا [36].

هذه المجهودات في ميدان الاستيطان من قبل بوجو والإدارة الاستعمارية شجعت الهجرة الأوروبية نحو الجزائر، ففي فترة حكم يوجو بلغ عدد الأوروبيين في البلاد حوالي 100000 مستوطن منهم 28%إسبان و 8% مالطيين و 8 % ايطاليين والباقي من الفرنسيين وغيرهم[37].

3.2-المرحلة الثالثة: الهجرة الأوروبية نحو الجزائر في عهد نابليون الثالث:

وضع الإمبراطور الفرنسي نابليون الثالث سنة1860حجر الأساس في الجزائر، لتصبح هذه الأخيرة شارع من شوارع الإمبراطورية الفرنسية[38]، وفي هذه السنة بالذات ازداد عدد المهاجرين نحو الجزائر و بلغ عددهم حوالي 200 ألف مهاجر[39]. وأحدث الاستيطان الأوروبي في الجزائر تناقضا كبيرا بين الجزائريين والمعمرين الأوروبيين، ولقد حاول أن يخفف منه نابليون الثالث بما أسماه المكاتب العربية، وأراد أن يجعل نفسه حاكمًا بين المعمرين الجزائريين [40].

33- M.A.E, A.D.P , op .cit. f.3,4.

34-MahfoudKeddache , op, cit, p.102.

35- كان عددهم بين 120 و 150 بلجيكي كانوا متوجهين إلىأمريكا لكن إمكانياتهم المالية الضعيفة، دفعتهم إلى المطالبة بالتوجه نحو الجزائر.، وكان ذلك في شهر ماي 1847.

36- M.A.E, A.D.P , op .cit. f.9

37- صالحعباد، المرجع السابق، ص. 11.

38-(J) Déjeux et (DH) Pageaux, op.cit ,p.5.

39- Document Algériens, op, cit , p. 14.

40- صالح عباد، المرجع السابق، ص. 16.

بعد زيارته إلى الجزائر سنة 1860 والتي دامت 15 أسبوع (من 3ماي إلى 7 جوان) عبر نابليون الثالث في مذكرات تحتوي على 88 صفحة عن رأيه في ما يخص الجزائر، حيث قال في رسالته إلى لبليسييه "...هذه البلاد هي في نفس الوقت مملكة عربية ومستعمرة أوروبية... ومن الضروري النظر إلى الجزائر من الزوايا الثلاثة الأهالي، المعمرين والجيش..."[41].

هذه السياسة أدت إلى توسيع دائرة الاستيطان بين 1861 -1864 حيث أسست الإدارة الفرنسية 11 قرية للأوربيين، و11 قرية أخرى في 1870، ووزعت حوالي 116000 هكتار على 4580 معمر جديد الذين سكنوا هذه القرى، كما قام الفرنسيون بفتح عدة مشاريع في الأعمال العمومية، هذه السياسة جلبت إلى الجزائر حوالي 50 ألف أوروبي [42].

والملاحظ خلال هذه المرحلة الأولى من الهجرة الأوروبية إلى الجزائر هو سيطرة الإسبان، حيث حسب الإحصائيات التي قامت بها السلطات الإدارية الفرنسية نجد أن عددهم يرتفع بصفة مستمرة، فبعدما كان 1291 سنة 1833 وصل إلى 58510 سنة 1866[43].

4.2-المرحلة الرابعة: تطور الهجرة الأوروبية نحو الجزائر:1870-1900:

انتهجت الجمهورية الفرنسية سياسة جديدة في ميدان الاستيطان، كانت تهدف من خلالها إلى جلب أكبر عدد السكان من الأوروبيين، استجابة لمطالب أوروبي الجزائر الذين يريدون دعمًا بشرياً قويا أمام الجزائريين الأكثر عددا [44].

بدأت العملية باستدعاء سكان الألزاسواللورين الذين وعدتهم الحكومة الفرنسية منذ مارس 1870 ب 100000 ألف هكتار من الأراضي الخصبة[45]، وبعد تهجيرهم سنة 1872 ضمت لهم الأراضي التي صدرت نتيجة ثورة المقراني سنة 1871، وبعدما وصل المهاجرون من المنطقتين المذكورتين وجدوا في استقبالهم ثلاثة مراكز أقيمت خصيصا لهم [46].

أنشأت السلطات الفرنسية بين سنتي 1871-1877 200 مستوطنة وأسكنت بها 30000 معمر، كما وزعت بين 1871-1881 حوالي 400000 هكتار على 200 مستوطنة

41-MahfoudKeddache , op, cit , p.118.
42- (Ch.) Robert Ageron ,op.cit , pp. 34.35.
43-(V) Demontés ,op.cit , p.157.
44- صالح عباد، المرجع السابق، ض.68.
45- (Ch.) Robert Ageron , op , cit , p.47.
46- صالح عباد، المرجع السابق، ض.68.

أوروبية، ونشير إلى أن عدد المستوطنين غير الفرنسيين وصل إلى 115000سنة1871[47]. والملاحظ أيضا خلال هذه المرحلة هو ارتفاع عدد الإسبان بالمقارنة مع الجنسيات الأخرى، حيث بلغ عددهم سنة 1872 حوالي 71366 وقفز إلى 157560 سنة 1896 [48]، علما أن عدد الأوروبيين غير الفرنسيين في الجزائر في نفس السنة وصل إلى 218000 بما فيهم الإسبان[49].

ومما يفسر ارتفاع عدد الإسبان هو ازدياد الهجرة التي وصلت في بعض الفترات إلى 75000 مهاجر في الخمس سنوات (1872-1877)[50]، حيث وصل عدد الأوروبيين في هذه الفترة إلى حوالي 590000 ،لكن بعد 1889 بدأت نسبة الايطاليين والإسبان في التناقص من 75% سنة 1885 إلى 52% سنة 1901 ، نتيجة تطبيق قانون 1889 القاضي بآلية الجنسية للأطفال الأجانب، وبداية من سنة 1896، أصبح عدد الأوروبيين المولودين في الجزائر يفوق عدد المهاجرين، وبذلك نشأ جيل جديد من الفرنسيين الجدد[51].

3- نظرة عامة حول أوضاع الأوروبيين في الجزائر خلال القرن التاسع عشر:

1.3-أوضاع الأوروبيين في الجزائر:

في المرحلة الأولى من الاحتلال كان هناك تشجيع واستقبال المعمرين الأجانب لكن هذه الفترة كانت فيها السياسة الفرنسية غير واضحة اتجاه المستعمرة الجديدة، ولكن رغم ذلك تحصل بعض الأوروبيين على امتيازات توازي الامتيازات التي تحصل عليها الفرنسيون، وأصبح بعضهم ملاك الأراضي وهناك منهم من اشتعل في مناصب أقل امتيازا، مثل العمال في الميدان الزراعي وفي السكك الحديدية والأشغال العمومية [52]، أما التجار منهم فلقد أعطيت لهم أهمية كبيرة من قبل السلطات الفرنسية، ويؤكد ذلك ما ذكره الرحالة الألماني موريس فاجنيس الذي زار الجزائر في سنوات (1836-1838) حيث ذكر:"...كانت لمدينة الجزائر أسواق تحتوي على أكثر من 40 محلا، هدم القسم الأكبر منها بل أجملها وأجدرها بالاعتبار، وقامت مكانها محلات ودكاكين تجار أوروبيين، أما

47- Document Algériens, op, cit , p. 25.
48- (V) Demontés ,op, cit , p.157.
49- Document Algériens, op, cit , p. 25.
50- (V) Demontés , op, cit , p.157.
51- صالح عباد، المرجع السابق، ض.93.
52- (J) Déjeux et (DH) Pageaux, op.cit, p.42.

دكاكين الجزائريين فكانت تبيع منتجات لا تضاهي المنتجات الأوروبية لا في جمالها و لا في أسعارها..." [53].

لكن بالمقابل هناك من الأوروبيين الذين هاجروا إلى الجزائر من كان يعيش في ظروف سيئة وكمثال على ذلك المهاجرين الألمان باستثناء التجار منهم وأصحاب الحرف الحرة، ويصف لنا الرحالة الألماني (شيمباز) حياة الألمانيين في المستعمرة الجديدة الفرنسية في يلي: "...توجهت إلى مستعمرة إبراهيم باشا في منتصف أكتوبر 1832 وزرت الخيام الموجودة بها خيمة بعد أخرى وهناك وقفت على بؤس كبير يعجز المرء على وصفه، المرض، الفقر، أناس عراة تقريبا، صورة رهيبة حقا..."[54]. وحسب نفس الرحالة فالمستوطنين الألمان في الجزائر كانت السلطات الفرنسية تعاملهم معاملة عسكرية وتضطهدهم بشدة وفي هذا الصدد يقول:"....على الساعة السادسة صباحا تقرع الطبول إيذانا ببدء العمل، ثم يقوم الرقيب الفرنسي بفرز الأشخاص بالتحقق من حضورهم أو غيابهم أما الغائبون فكانوا يعاقبون معاقبة فظيعة وتخفض لهم الأغذية...." [55].

كما واجهت المستوطنين المعمرين عدة صعوبات خاصة في المرحلة الأولى من الاحتلال، بحكم أن أغلبهم كان من الفقراء ،كصعوبة التأقلم مع الجو الجديد من جهة، ومهاجمة أصحاب الأراضي الشرعيين عليهم من جهة أخري[56]، لكن بعد مرور حوالي 50 سنة من الاحتلال تغيرت نظرة الفرنسيين تجاه المعمرين، حيث ازدادت طلبات العمل، وبذلك فضلت الإدارة الفرنسية دخول الأوروبيين إلى الجزائر خاصة الإسبان منهم بسبب انتشار الفقر والمجاعة بإسبانيا في تلك المرحلة[57]. وفي المقابل فإن التجار كان حالهم أفضل في هذه المرحلة، خاصة الإسبان، بعد المعاهدة الفرنسية - الاسبانية لسنة 1862 حيث أصبح بموجبها للتجار والصناع الإسبان نفس الحقوق مع الفرنسيين [58].

وقصد تشجيع المعمرين الأوروبيين من مختلف الجنسيات على الاستقرار في الجزائر أقدمت السلطات الفرنسية على تقدم بعض المساعدات لهم ، لكن الملاحظ هو أن توزيع المساعدات لم يكن عادلا، وهذا ما لاحظناه من خلال المساعدات التي قدمت لهم في

53- أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان ، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1975، صص.63، 62.

54- عمار هلال المرجع السابق، ص .16.

55- نفسه، ص .16.

56- صالحعباد، المرجع السابق، ص.9.

57-(J) Déjeux et (DH) pageaux, op.cit, p.43.

58- (V) Demontés ,op, Cit , p.162.

الفترة الممتدة من 1894 إلى غاية سنة 1896 أي خلال مدة 3سنوات، حيث نجد أن عدد الايطاليين الذين قدمت لهم المساعدة كان أكبر من عدد الاسبانيين وهذا في المقاطعات الثلاث وهران، الجزائر و قسنطينة [59].

2.3-المشاكل المثارة من قبل المعمرين الأوروبيين تجاه السلطات الفرنسية:

إن تطور الهجرة الأوروبية نحو الجزائر وازدياد عدد الأجانب خاصة في المرحلة الثانية من الاحتلال أوجد في الجزائر مجتمعاً معقداً، تشابكت فيه الأجناس والأعراق مما خلق عدة مشاكل للسلطات الفرنسية، بداية من سنة 1865 أصبحت الجنسية الفرنسية ضرورية للدخول في الأعمال العامة، إضافة إلى مشكل الخدمة العسكرية بالنسبة للشباب، هذه الظروف أدت إلى عدة ممارسات غير قانونية من قبل المعمرين فطرد البعض منهم [60].

إن أغلب المشاكل التي سببها الأوروبيون والتي مثلت خطراً على الغزو الفرنسي أتت من المجموعة الاسبانية التي كانت تمثل الأغلبية في الجزائر [61]، ومما يثبت ذلك نشاط الصحفي(Zavala (F) [62]الذي نفي إلى الجزائر سنة 1879، وبعد وصوله أسس جمعية المجتمع الثقافي، وأصبح مديرا لها كما كان مدير أول جريدة اسبانية بالجزائر والتي كان عنوانها "إلباتيوت "(Elpatuet)، وفي نفس السنة أسس "الشعب العامل الاسباني" La FraternidadObrera.

طاردت السلطات الفرنسية هذا الصحفي، حيث اختفى مدة ثلاثة سنوات كتب خلالها كتابه المشهور "العلم الاسباني في الجزائر"، ولقد كان لهذا الكتاب عنوان صغير وهو "السيطرة الاسبانية في الجزائر 1565-1791"، كما ظهرت صحافة نشيطة في الجزائر خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، مما أقلق السلطات الفرنسية التي قررت في جانفي 1880 طرد كل الصحفيين المتهمين بممارسة نشاطات ضد فرنسا [63].

59- (V) Demontés ,op, Cit , p.167.
60- (J) Déjeux et (DH) Pageaux, op.cit, p.5.
61- (V) Demontés , op, cit , p.156.
62- من مواليد 1843، نفي إلى الجزائر سنة 1789، أين قام بنشاط سياسي واسع واقلق السلطات الفرنسية.
63- (J) Déjeux et (DH) pageaux, op.cit, pp.43.44.

إن تعدد الثقافات والأجناس إسرائيلية (يهود) فرنسيين، سويسريين، ألمان، ايطاليين، مالطيين إضافة إلى المسلمين الذين يمثلون الأغلبية خلق صعوبات كبيرة للسلطات الفرنسية في القرن 19 قبل أن توطد فرنسا أركانها في الجزائر.

الخاتمة:

إن النتيجة التي نخرج بها من خلال تتبعنا لأهم فترات هجرة الأوروبيين غير الفرنسيين إلى الجزائر خلال القرن التاسع عشر هي وجود ارتباط وثيق بين تلك الهجرة والغزو الفرنسي وتوسعه، حيث سعت السلطات الفرنسية إلى جلب أوروبيين من جنسيات مختلفة (اسبانيين، ايطاليين، ألمان وغيرهم) ومساعدتهم على الاستيطان قصد ضمان الهيمنة الفعلية على مختلف المناطق التي سيطرت عليها، وزحزحة السكان الأصليين إلى المناطق (الأراضي) الجبلية الجرداء.

ولذلك يمكن القول أن الاستيطان سار في خط متوازي مع التوسعات الفرنسية في الأراضي الجزائرية، حيث كلما زادت مساحة الأراضي التي سيطرت فرنسا عسكريا إلا وتبعتها هجرة أوروبية قصد تعميرها، كما أن فرنسا وجدت الفرصة المواتية لتعمير الجزائر، نظرا للأوضاع الاقتصادية الصعبة التي عايشتها بعض الدول الأوروبية خلال هذه الفترة، مما أدى ببعض سكانها للهجرة إلى الجزائر، طمعا في إيجاد ظروف معيشية أحسن، ووجدوا في نداء فرنسا حلا لمشاكلهم الكثيرة، وهذا ما يفسر الهجرة الكثيفة لعدد هائل من الأوروبيين نحو المستوطنة الفرنسية.

كان أغلب المهاجرين إلى الجزائر من دول البحر الأبيض المتوسط نظرا لقرب المسافة وسهولة المواصلات، هذا ما يفسر سيطرة المستوطنين الإسبان على الغرب الجزائري والايطاليين في الشرق الجزائري، ولقد اختلفت أوضاع المعمرين في الجزائر خلال القرن التاسع عشر، لكنها كانت جيدة عموما خاصة في ظل الدعم الذي كانت تقدمه إدارة الاحتلال للأوروبيين على حساب الأهالي الجزائريين، فبالإضافة إلى حصولهم على الجنسية الفرنسية، وزعت عليهم أراضي خصبة شاسعة في كل مناطق الجزائر، مما ساعدهم على تحسين ظروفهم المعيشية مع مرور الوقت.

والملاحظ هو أن الصعوبات التي واجهت المعمرين الأوروبيين كانت في بداية الاحتلال، حيث ازداد نفوذهم وقوتهم مع مرور الوقت وشكلوا قوة كبيرة وبذلك خلقوا صعوبات كبيرة لإدارة الاحتلال التي وجدت صعوبة كبيرة في التحكم فيهم من جهة، وإرضاء مطالبهم المتزايدة من جهة أخرى، لكن رغم هذا إلا أننا لا يمكننا إغفال دور المعمرين غير الفرنسيين في تثبيت الاحتلال الفرنسي بالجزائر، ولقد أثبت الواقع أن

الحكومة الفرنسية مارست سياسة الاستيطان لتحقيق أهدافها وأطماعها التوسعية، وليس لتحسين ظروف الأوروبيين القادمين إلى الجزائر من مختلف الدول الأوروبية ، حيث أنها شجعت الهجرة الأوروبية نحو الجزائر لضمان الهيمنة الفعلية عليها.

المراجع:

1- بليل محمد، تشريعات الاستعمار الفرنسي في الجزائر وانعكاساتها على الجزائريين 1881-1914، الجزائر، دار سنجاق للنشر، بتدعيم وزارة الثقافة بمناسبة الذكرى الخمسون للاستقلال، 2013 .

2-دودو أبو العيد، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1975.

3-هلالعمار، احتلال الجزائر من خلال أدب الرحلة الألمان في القرن 19، في **مجلة الثقافة**،الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع السنة12، العدد 72، محرم -صفر - نوفمبر - ديسمبر 1982.

4-عباد صالح، المعمرون والسياسة الفرنسية في الجزائر1870-1900، الجامعية، الجزائر، ديوان المطبوعات، 1984.

5-Ageron ,(Ch.) Robert, Histoire de l'Algérie contemporaine, éditionDahleb,Algérie, 1994.

6-Bingisser(Ed), l'œuvre de la colonisation officiel en Algérie de 1830 a nos jours, **Bultin de l'armée d'Afrique** N°15, 2eme année Mai 1925, imprimerie, algérienne P.Guiauchain, Alger, 1925.

7-Déjeux(J) et Paglaux (DH), L'Espagne et Algérie au 20 ème siècle contacte culturels et relation littéraire, Edition L'harmattan, Paris, 1985.

8-Demontés(V) , la Coline espagnole en Algérie , in **bulletin de la société de géographie** , 4eme année 2eme trimestre,1899 .

9- De Sternes Suzanne et HenriChaude, Napoléon3 et l'Algérie, in **revue de Paris**, 68 années, septembre 1961.

10-**Document Algériens, synthèse de l'activité algérienne** ; 1er janvier 1948-31 décembre 1948, imprimerie officielle, Alger, 1949.

11-Hureau Joëlle, La mémoire des pieds noirs de 1830 à nos jours, éditionPerrin, France, 2001.

12-Gaffarel Paul, l'Algérie histoire conquête et colonisation, libraire de Firmin Didot, paris, 1883.

13- Ministère des Affaires étrangère, (M.A.E), paris, Affaires Divers Politique(A.D.P), Algérie, colonisation et émigration, 1843-1850 Carton 2, f.3,4 et 9.

14-Keddache Mahfoud, l'Algérie des Algériens, histoire de l'Algérie 1830-1954. Editions Rocher noir, 1998.